﴿ موعظة للمسلمين ، بآيات الكتاب المبين ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ ، وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ، إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ *

لك الحمد اللهم أن أنزلت هذه الآيات البينات بلسان عربي مبين، على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين وامام المصلحين، فأثرت بها وبأمثالها تلك الظلمات، وأحييت بها أولئك الاموات، فأقاموا ما أنزلت من الكتاب والميزان، (١) وأدبوا بالحديد من أباهما من أهل الطغيان، حتى تزلزلت في الممالك تلك التقاليد، والقت اليهم الامم بالمقاليد، فكانوا - وهم الاميون - أئمة أهل الكتاب والحكمة، وسادة أهل السلطان والقوة، فصل وسلم اللهم على ذلك النبي المرشد الحكيم، «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤف رحيم»

ثم خلف من بعد هذا السلف الصالح خلف كفروا بنعمة آياتك فاستبدلوا بها مذاهب وتقاليدهم بها عاملون، «وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون» وغرتهم الحياة الدنيا فطفقوا بالميزان، وغرهم بالله الغرور فانحرفوا عن صراط القرآن، وطلبوا العزة بالكلم الخبيث، دون العمل الصالح والسعي الحثيث، فكانت عزتهم ذلا، وكثرهم قلا، ومكروا السيئات فقادوا العلماء والفقهاء، بسلاسل سياسة السلاطين

(١) قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» والمراد بالميزان البرهان العقلي في العقائد والعدل في الاحكام

والامراء ، وأوهموا الوازرين والخاطئين ، بأن سيحمل أثقالهم عنهم نفر من صلحاء الميتين، فسدت الاعمال والنيات ، واتكل الاحياء على شفاعة الاموات ، وتبع ذلك تفرق الكلمة بالباطل . وعدم الاجتماع على نصرة الحق، فخلا الجو للامراء الظالمين ، والرؤساء الفاجرين ، وفسد بذلك على الامة أمر الدنيا والدين ،

طغوا في الكتاب فضلوا الاعمى على البصير ، وطغوا في الميزان فاختاروا الظلمات على النور ، وأخرجوا الامة من الظل الى الحرور، وفقدوا حياة العمل والتعاون فاستمدوا المعونة من أصحاب القبور ،

جهلوا آيات الله في الاكوان ، وحكمه في اختلاف الاوضاع والالوان ، ورغبوا عن معرفته تعالى بآياته في الآفاق وفي أنفسهم كما أرشدهم القرآن ، وحاولوا معرفته بنظريات فلسفة اليونان ، فماروا بالبيان ، وقلدوا في الدليل والبرهان ، فكانوا بلا علم ولا عرفان ، ولا خشية ولا إذعان، وانما هي دعاوي يلوكها اللسان ، واماني يسوّلها الشيطان ،

وجملة القول انهم أضاعوا مقاصد القرآن كلها، وان شئت قلت أضاعوا دين الاسلام كله فان الاسلام هو القرآن، وما جاء في بيانه من سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل اليهم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا كان شيء من أمر دينكم فاليّ واذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أنس والاخير عن عائشة . وقال أيضا « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن أنس وعائشة

وقد حرم علينا الخلف الطالح الاهتداء بالقرآن والسنة في أمر ديننا

ولم يعطونا حرية للعمل في أمر دنيانا ، وزعموا ان الدين هو الذي حكم بذلك التحريم وبسلب هذه الحرية ، فاذا احتججت عليهم بالكتاب والسنة على ان طريقتهم هي المخالفة للدين ، قالوا انما نحن واياك من المقلدين ، واذا استدللت عليهم بالعقل قالوا انما أنت من الملحدين ، ولا يرضيهم الا أتباع آرائهم وآراء بعض المؤلفين الميتين ، على هذا جرى علماء الرسوم مع الحكام والسلاطين ، فهدموا ذلك البناء المتين ، وما زالوا هادمين ، وكذلك أهلك الله من أهلك من الامم باستبداد الرؤساء المترفين ،

ليت هذه الامة التي نكبت بهؤلاء الرؤساء في دينها ودنياها تعلم ما هي قوتهم التي يستعينون بها عليها ، ليتها تعلم انها هي قوتهم التي بها يعتزون ، وانها هي معاولهم التي بها يهدمون ، وانها هي حجتهم التي بها يحتجون ، ذلك بأنهم إذا قالوا ان وضع كتب الشريعة بصفة سهلة كوضع كتب القوانين بدعة منكرة قالت العامة : بدعة منكرة : وان أدى هذا القول الى استبدال القانون الفرنسي بالشريعة . واذا قالوا ان العلوم الطبيعية والرياضية كفر أو طريق الى الكفر قالت العامة : هي كفر وأي كفر : وان حرمت الامة بذلك من مجاراة الامم الحية وصارت تحت أقدام الامم التي يسمونها كافرة فاجرة ، — فيا ليت هذه الامة تعلم من أضاع شريعتها ودينها ، ومن أفسد عليها أمر دنياها ، ويا ليتها تعلم انهم ما قدروا عليها الا لاها .

طال زمن الهدم في هذه الامة لاتفاق رؤساء الدين مع رؤساء الدنيا عليه ، ولكن قد تباينت الرغائب في هذا العصر لا سيما في البلاد الهندية والعثمانية والمصرية فقد دخلت في الامم بعض العلوم العصرية ، والاعمال المدنية ، فانقسمت الامم الى قسمين عظيمين قسم يريد المحافظة

على التقاليد والعادات القديمة باسم الدين ، وسلاحه موافقة العامة ، وقسم يريد الانسلاخ منها وأكثر أهله من الخاصة ، وأهم ما استفاد هذا القسم من التعليم الجديد حرية الفكر . لذلك تولد من بين هذين الزوجين قسم ثالث يريد التوفيق بينهما واقناع الجميع بان الاسلام دين الفطرة والمدنية ودين العلم والعقل ، والمنار انما أنشىء لهذه الدعوة وتأييد هذا الحزب وتنميته ، والرجاء بالله ان يكون هذا الحزب هو الفائز والعاقبة له « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال »

باب آثار السلف

(خطبة من خطب عمرو بن العاص)

منقولة من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

رأينا في تاريخ ابن عساكر خطبة نفيسة لعمرو بن العاص من أحسن أقواله يوصي بها الناس بالقصد وعدم السرف وحسن معاملة القبط وصرف العناية الى خيل الجند بالقيام على تربيتها وسمنها وغير ذلك من الوصايا الجميلة النافعة رواها ابن عساكر عن بُحَيْر بن ذاخر المَعافري قال :

ركبت أنا ووالدي الى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد هم (كذا) النصارى بايام يسيرة فأطلنا الركوع اذ أقبل رجال بأيديهم السياط يؤخرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء ؟ قال يابني هؤلاء الشرط . واقام المؤذن الصلاة فقام عمرو ابن العاص على المنبر فرأيت رجلا قصير القامة أدعج أبلج (١) عليه ثياب موشية (أو موشاة) كأن بها العقيان (٢) تتألق عليه ، وعليه عمامة وجبة فحمد الله واثنى عليه حمداً موجزاً وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس فأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكوة وصلة الرحم وينهى عن الفضول وكثرة السؤال وقال في ذلك

(١) الادعج اسود العين والابلج المضيء المشرق (٢) العقيان الذهب الخالص